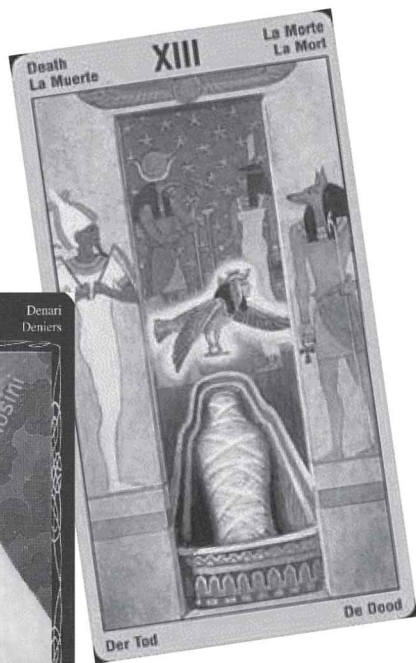
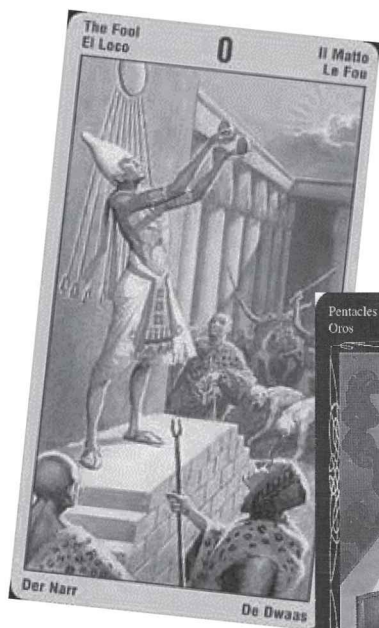


6

أعور في أرض الفراعنة

2500 قبل الميلاد - 2400 قبل الميلاد



نزلت الـ «كا» خاصتنا صافية حرة ترفرف بلا هدى، تتأرجح مع الرياح، الأشياء والأصوات كلها واضحة في طور الروح، هذه الـ «كا» سهلة التحكم جدًّا، طرنا بها متجولين في المدائن حتى نزلت في سوق مزدحم، نشمُّ كل التفاصيل من حولنا حتى ذرات التراب، ننظر في كل شيء؛ البشر والأبنية والدروب، عرفنا أين نحن من النظرة الأولى، مصر القديمة.

كم كانت روحي تتوق إلى أن ترى هؤلاء المصريين الذين سادوا العالم يومًا، كنت أهدق إلى ما حولي، لكن لم تستطع الـ «كا» خاصتنا أن تتحرك على الأرض، يبدو أن التحكم بها كان في السماء فقط، الحل أن نقفز للتلبس بجسد أحدهم، الفراعنة يمضون بجوارنا ولا تلاحظ عيونهم كياننا، عرفت أن هذا السوق هو سوق اليهود، أو كما يطلقون عليه سوق «أبيرو». أبنية مصنوعة من الطوب العادي، وجوه الناس مسالمة، أحدهم يعزف بشيء كالكمّان وموسيقاه تنبعث بين الأزقة، معظم رجالهم يرتدون إزارًا قصيرًا وصدورهم عارية، والنساء تمشي بفساتين طويلة وأطواق ملونة.

بدأت الـ «كا» تهتز بعنف معلنة اقتراب هدف يصلح أن نتلبَّسه، نظرتُ بعين الروح، فإذا برجل يقترب بين حاشية ينظر في أغراض السوق بهدوء، عرفت أنه ذو سلطان، ودون مقدمات انطلقت الـ «كا» خاصتنا فحلَّت في جسده وروحه وبدأنا ننظر من بين عينيه، حقًّا أنت تشعر بالروح التي تتلبس فيها، أخبرتني الروح أنها لأمير مصري اسمه «سيتكا» وأنه الأخ الشقيق لفرعون، ملك مصر كلها، كان ينظر في الناس كأنه يبحث عن شيء ما، مشى حتى وصل إلى سوق العبيد،

وهناك توقف ونظر إلى رجل بعينه يرتدي منشفة كالتّي يضعها الجميع على رؤوسهم، لكنه يتلثم بها فتخفي وجهه، هل هذا هو الرجل الذي نبحت عنه؟ بدأت أصدق إلى وجهه، لم أقدر على تمييز ملامحه، لكن كان بجواره رجل من العامة يبيعه، قال له المصري الذي سكنتُ بداخله:

- بكم تبّيع هذا الرجل يا ماكارو⁽¹⁾؟

- أربعمئة درهم يا سيدي.

أصابني الذهول، درهم! أكان في عصر المصريين دراهم؟ لم يجادل المصري معه، فهرع الماكارو يخرج ميزانًا وأخذ قطعًا ذهبية من المصري ووزنها، يبدو أن الدرهم كان عندهم مكيال وزن وليس عملة، انطلقنا مع العبد الذي اشتريناه نمشي في دروب مصر وعيوني منتشية مما ترى من بدائع، الهرم الأكبر كأني أول مرة أراه في حياتي، انسَ المظهر الأصفر القديم التقليدي، أنا أراه أمامي الآن مكسوءًا بأحجار بيضاء لامعة، والأعجب أن النيل يجري قريبًا منه، التماثيل والمعابد هنا فوق كل حجر، وبرغم أننا رأينا في رحلتنا حضارات كبيرة مثل أتلانتيس وغيرها، فإن حضارة هؤلاء القوم تختلف، كل شيء هنا ينبض بالفخامة والهندسة.

دعنا من وصف المعالم التي حولي، لأنني لن أنتهي منها أبدًا، حاولت أن أركز على الرجل الذي اشتريناه، ما دامت أُلقت بنا القصة إليه، فلا بد أنه هو الرجل الأعور الذي حصل على تلك العلوم وأضلَّ البشرية كلها، لكنه لا يبدو أعورَ، بل إن ملامحه حسنة، ربما لم يصبه العور إلا لاحقًا، لكن مع مرور الأيام بدأنا نرى من أمر هذا العبد عجبًا حتى أيقنْتُ أنه هو.

(1) ماكارو بالمصرية القديمة تعني تاجر.

«في هذه الأرض من تظنه موسى تجده فرعون، والعكس».

مشى الأمير سيتكا حتى وصل إلى جبل كبير تتناثر أسفله أحجار متكسرة كثيرة، ونادى العبد الذي اشتراه وقال:

- لا أريد أن أشق عليك لأن سنك كبيرة يا أبت، لكنك تُصرُّ على أن أمرك بشيء، فانقل لي هذه الأحجار كلها إلى ذلك الموضع هناك لنستخدمها في البناء، وخذ كل ما تحتاج إليه من وقت، فلسنا في عجلة.

كان عدد الأحجار كبيرًا والموضع المطلوب نقلها إليه ليس بقريب، تركنا العبد وأنا أقسم أننا ما تركناه إلا ساعة أو أقل من ذلك، وهذه الأحجار تحتاج إلى ستة رجال على الأقل ينقلونها في يوم كامل، لكننا لما رجعنا إليه ارتجفنا، وجدنا الأحجار كلها منقولة، لم يترك العبد حجرًا واحدًا إلا نقله، تعجب الأمير ونظر إلى الرجل كما تنظر إلى ساحر، وقال:

- إنك لتفعل الأعاجيب يا رجل، وإني مسافر إلى بعض حاجتي فابن لي من هذا الطوب الذي نقلته بعض الجدران هنا وهناك؛ فإننا نريد أن نزيد هذه المساحة من الفناء.

وما تركناه إلا يومًا واحدًا، ولمّا عدنا وجدنا البناء مشيدًا كله ومزخرقًا، هذا ليس بشيء، كان الأمير سيتكا في أشد حالات استغرابه، قال له:

- سألتك بوجه الله يا رجل.. ما أمرك؟

تعجبت قليلًا أنه يسأله بوجه الله وهو مصري قديم، لكنني تجاوزت هذا منتظرًا إجابة الرجل الذي قال:

- وجه الله هو الذي أوقعني في العبودية وأصبحتُ عبدًا لك.

سأله الأمير متعجبًا عما يعنيه، فقال الرجل كلمة هزّت كياني هزًّا،
قال:

- أنا الخضر الذي سمعت به في هذه البلاد.
- يا رب الأرض والسماء، الخضر! لم ينطق الأمير سيّتك، وكان يعرف
من هو الخضر، نبي ذلك الزمان. قال الخضر:
- أتاني مسكين في ذلك السوق يسألني صدقة، سألتني بوجه الله،
فلم يكن عندي ما أعطيه، فأمرته أن يبيّعني ويأخذ ثمنني، وأعلم
يا سيّتك أنه لو سألك أحد بوجه الله ورددته وقفتَ يوم القيامة
يتساقط جلدك.
- اغفر لي يا نبي الله أنني شققت عليك، بأبي أنت وأمي، احكم في
أهلي ومالي بما شئت أو أخلي سبيلك.
- أُحب أن تخلي سبيلي فأعبد ربي.
- فخلى الأمير سبيله على الفور، وقبل أن يغادر الخضر التفت إلى
الأمير وقال:

- ستحدّث أمور عظام، فكن دومًا إلى جانب الحق يا سيّتك، ولو
على زوال مالك.
- برقت عين الأمير سيّتك ومع بريقها انفصلت عنه الـ «كا» خاصتنا
وساحت في السماء، أنا لم أكن أعلم ما الذي كنت أنظر إليه قبل قليل، لقد
كنت أشهد حديثًا بين الخضر، ومؤمن آل فرعون.

«إذا أنذر نبي بحدوث أمر عظيم فارتقب الموت».

بسرعة عالية هبطت روحنا وكأنها تسعى إلى أمر جلل، نظرتُ أسفل
مني، بيوت من الطين تنبعث منها صرخات عالية لنساء ورجال، وجنود

يدورون بين البيوت يفتحون أبوابها عنوة، يضربون الرجال ويدفعون النساء على الأرض ويفعلون شيئاً أكثر قسوة، عرفته لما هبطت روحنا في روح أحد هؤلاء المجرمين؛ روح مظلمة. دخل صاحبها إلى بيت من البيوت وتفقد الأطفال، حتى رأى طفلاً ذكراً، أخذ الرجل الطفل الصغير وأخرج سكيناً وذبحه كما يُذبح الطير وتركه على الأرض يرتجف في دمائه، بقع الدم بدأت تتكون على جوانب المنظر الذي نراه من داخل عينه وشعرتُ بالـ «كا» تتصاعد إلى أعلى ثم تخرج من المجرم وتتصعد إلى السماء تتساقط منها الدماء من كل جوانبها، حتى إنني أشمُّ رائحة دماء، وفي حلقي مذاق دماء.

بدأت الصورة الحقيقية لفراغة ذلك الزمان تتضح لي، إنهم يذبحون أطفال بني إسرائيل، أذكر أن الفرعون الأكبر أمر بذبحهم لأنه رأى حلماً أن طفلاً يهودياً سيسقط حكمه، لم أكن أتوقع أن الأمر بهذه الوحشية، ذلك وأنا لم أرَ إلا مشهداً واحداً. دارت روحنا حول نفسها وانتفضت كثيراً والدنيا تظلم حولنا حتى نزلت الـ «كا» إلى موضع جديد، نساء يمشين بإنهاك وتعب، يتجهن جميعاً إلى مكان ما، كلُّ منهن تحمل طفلاً وتهرب، دخلنا في روح واحدة منهن، حاولت أن أستخلص من روحها أي شيء يدلني عما نحن ذاهبون إليه، لكن إنهاك روحها وقلقها منعاني من أن أحصل على أي شيء، وفجأة وصلنا جميعاً. أرض صحراء لا شيء فيها على الإطلاق، قالت إحداهن:

- من ذا الذي يضع أطفاله هنا ويتركهم وهم حتى لا يقدرّون على

الزحف، أهذا جنون؟

ردت عليها امرأة أخرى:

- لا تكفري، كذلك قال لنا نبي الله الخضر، الله يتولّاهم، فلو تركناهم

في بيوتنا ذبحهم آل فرعون.

انحنى النساء ووضعن أطفالهن على الرمال، أطفال رُضع لا حيلة لهم، ثم انصرفن وقلوبهن تنزف ألمًا، الحزن جعل الـ «كا» تفور وتخرج من تلك المرأة التي تسكنها، ثم قفزت تتلبس أحد الأطفال الرُضع، رأت بعينيه الصغيرتين جميع النساء يغادرن وهن ينظرن خلفهن كل حين حتى اختفين عن النظر. بدأ الطفل الرضيع يزحف بصعوبة، وأنا أسمع بكاء الأطفال من حولي، ثم بدا لنا في الأفق شيء عجيب، فوج قادم من رجال بيض الوجوه، يرتدون ثيابًا بيضاء، عددهم كبير جدًا يأتون من كل حدب، والأطفال يضحكون ضحكة بريئة، هل هؤلاء القادمون هم... أيعقل؟

هل هم ملائكة؟ كلما رفعت يد الطفل لأمسك بهم، تمر يده منهم كأنهم طيف، كانوا حقًا ملائكة، وجدتهم يضعون أحجارًا على الأرض فيتوجه لها الأطفال جميعهم وكأنهم يُوحى إليهم، يلتقمون الأحجار ويمصون منها لبنًا، وأحجار أخرى يمصون منها عسلًا، لقد رحم الله بني إسرائيل، ونجّى أطفالهم، لكن هل موسى بينهم؟ لا أظن، أنا أذكر أن له قصة أخرى.

وبقوانين الروح التي ليس لها حاكم، مر الزمان علينا في بضع دقائق ورأينا الأطفال يكبرون، نرى مشاهد تتبعتها مشاهد، رأينا الأمهات يأتين كل حين ليرعين الأطفال ثم يختفين بسرعة لئلا يراهن أحد، رأينا أكواخًا بُنيت وعاش بداخلها الأطفال، الكل قد كبر حتى سن العاشرة، وكنا بداخل أحدهم، نظرت إلى أحد الأكواخ فرأيت شيئًا عرفت منه لماذا نحن هنا؛ طفل ذو جسد قوي وشعر طويل شديد التجعد، خرج من أحد الأكواخ يمشي بثقة لا يُعرف بها الأطفال، فجأة، نظر ذلك الطفل إلينا، نعم إلينا ونحن نسكن في أحد الأطفال، فُجعت من نظرتة وملامحه، إحدى عينيه خربة تمامًا، لا بؤبؤ فيها ولا بياض، كأن بداخلها ماء أخضر، دق قلبي ألف دقة، وتوقف الطفل مكانه ونظر إلينا نظرة نافذة، أنا لم أر طفلًا في هذه الدنيا ينظر هكذا، وفجأة استدار ناحيتنا ومشى إلينا،

وجدت الطفل الذي نسين فيه يسقط على الأرض من الخوف، والطفل المخيف يظهر على ملامحه شبح ابتسامة، يا إله السماوات، هل هذا هو؟ كل شيء فيه يقول إنه هو، عور عينه ونظرتة، رأيتة وهو يقترب، وكلما اقترب اتضحت ملامحه، بدأ الطفل الذي نسين فيه يركض إلى الخلف، نظرتُ خلفي فرأيت الطفل الأعور يركض هو الآخر خلفنا، سمعنا صوتًا أنثويًا ينادي:

- ميخا.

التفت الطفل الأعور على الفور وراءه ليرى أمه البدينة تلوح له، ثم نظر إلى ناحيتنا نظرة أخيرة وانطلق إلى أمه، كان الطفل الذي نسين فيه مختلفًا بين الأشجار ينظر في خوف ويبكي، ثم سمعت من جوارنا صوتين يتحدثان، نظرت فإذا رجلان أحدهما مقلق المنظر يرتدي رداء السحرة الفراعنة وعيونه تبرق كأن الشر كله قد اجتمع فيها، كان يقول:

- هذا هو الفتى، أناأخذه الآن؟

قال الصوت الآخر وكان رفيعًا كأنه صوت حية وصاحبه يرتدي عباءة تغطي رأسه وأغلب وجهه:

- بل دعه، ما زالت العلامات لم تكتمل فيه.

فجأة نظر ناحيتنا صاحب الصوت الرفيع، فارتجف كل شيء بداخلي حتى هربت الـ «كا» وانطلقت مبتعدة عن المكان كله، لماذا ينظر إلينا الجميع بهذه الطريقة؟!

«كما ولد الظلام ومات، سيولد النهار».

الـ «كا» خاصتنا تدور في الجو، نسمع أصوات أشياء كثيرة تدق دقات مفرحة، نظرت هنا وهناك، ذاك قصر الفرعون.. وما هذا الذي

بجوار القصر؟ نزلت الروح رويدًا رويدًا، أصوات الدق الاحتفالي تعلو، الرؤية تتضح، كان هناك طابور عظيم من الناس يبدأ من قصر الفرعون إلى داخل بلدة جاسان حيث يقطن بنو إسرائيل. كل من في الطابور يدقون شيئًا ما ويصطفون يمينًا وشمالًا ليعملوا طريقًا بينهم، من الذي بداخل الطابور؟ نزلت الـ «كا» خاصتنا وسكنت رجلًا من الذين يمشون في الطريق الطويل بين المصطفين، كان الرجل يحمل مع رجال آخرين هودجا كبيرًا على أكتافهم، شيئًا مقدسًا لا يستبين لنا ما هو، لكنه شديد الأهمية عند جميع من في هذا الاحتفال، أوانٍ فرعونية تُدق، وأزهار تُرمى، وأغنية فرعونية تُعزف عن أمير محظوظ سيملك العوالم.

وصلنا إلى قصر الفرعون، وهناك رأينا امرأة تقف بثياب فاخرة ووجه يمتلئ طيبة ورقة، دخلت إلى علم صاحب الروح التي نسكنها لأفهم، أصابتني قشعريرة لما فهمت، هذا الطابور إنما ينقل ذلك الطفل الصغير الجميل الذي وجدته الملكة عند النهر، ينقله من عند مرضعته في البلدة إلى قصر الفرعون بعد أن أنهى مدة رضاعته. يقولون إن هذا الطفل وهبته الآلهة «بس» للفرعون بعد طول انتظار لأنه لا ينبج الذكور، وكانت الملكة تنتظر عند الباب، وكان اسمها آسيا. التقطت الملكة الطفل من الهودج الذي نحمله على أكتافنا، سرحتُ بفكري قليلًا، أليكون هذا الطفل هو موسى؟

نظرت إلى الطفل لأجده طفلًا أسمر اللون، إنه لا يبدو مثل أطفال بني إسرائيل البيض، دخلت الملكة آسيا بالطفل فرحة إلى الفرعون، ودخلنا وراءها.

رأيت الفرعون، كان يملك وجهًا لم أره في أي تمثال على كثرة دراستي ملوك ذلك الوقت، لحية كبيرة ووجه طويل وعيون ضيقة، وضع الطفل في حجره، فرفع الطفل يده وأمسك لحية الفرعون وشدها لأسفل شدًا عنيفًا ومفاجئًا، وتجمد كل من كان بالمشهد.

قالت حاشية الفرعون:

- ليس هذا الطفل هو هبة الرب ولا هبة النيل «مو- سي» كما سمَّيتموه، بل هو النعمة والغضب، الذي سيزيل عنك هذا الملك.
قَطَّب الفرعون جبينه وكأنه لا يفكر أصلاً، وقال:
- اقتلوه.

هرعت الملكة آسيا الجميلة وأمسكت بيد الفرعون وقالت:

- سيدي «با- فرعا»، إنه طفل لا يَعْقِل، ائتني بجمرتين من نار ولؤلؤتين، واجعلهما أمامه، فإن أخذ اللؤلؤتين واجتنب الجمرتين، عرفت أنه يَعْقِل، فاقتله، ولو فعل العكس عرفت أنه لا يَعْقِل.
ضَيَّق الفرعون عينيه ونَفَّذ على الفور، هذا رجل يفكر بلسانه مباشرة، جاء الخدم بجمرتين ملتهبتين من نار ولؤلؤتين جميلتين، ووضعوهما أمام الطفل، فنظر بعيون بريئة ومدَّ يده إلى الجمرتين، وهذا اشتعال قلوب الرجال، وخرجت الـ «كا» إلى حيثما خرجت.

«أطفَلُ رباه الملاك خير أم طفل رباه فرعون؟».

بعد خمس عشرة سنة..

ظلام الليل يطبق على روحنا في هذه الأزقة، نسكن جسد أحد الأطفال الذين كانت الملائكة تطعمهم، لم يُعَد طفلاً بل صار شاباً، وكل أولئك الأطفال كبروا وعادوا إلى أهليهم في السر خفية عن الفراعنة، وها أنا أسكن فتى منهم يمشي في أزقة مدينة ساجان، كنت أنفكر فيما رآته عيني، ذاك الطفل الذي ربَّته الملائكة سيصير كارثة على البشرية كلها، وذاك الطفل الذي رباه فرعون سيصير نبياً من أولي العزم، ظللت أفكر وأنا أمشي بين بيوت اليهود، حتى سمعت منادياً يصرخ.

خرج الناس من بيوتهم ينظرون، ظهر المنادي وهو يقول:

- يا بني إسرائيل أخفوا أبناءكم، لقد وصل إلى مسامع الفرعون أن أعداد بني إسرائيل قد زادت، سيأتيكم جند الفرعون في الصباح. شهقت النساء وهرعن يمسكن بأبنائهن، لو رأى جنودُ الفرعون الأطفالَ فلن يقتلوهم وحدهم هذه المرة، بل سيقتلون العائلة كلها التي أخفتهم، ويبدو أن هذا الفتى الذي نسكن فيه يتيم، أو أن أمه قد أخذت سبية عند الفراعنة، هرعنا نختبئ به فوق سطح أحد المنازل، وظلت روحنا ترتجف حتى شق الصباح أستار الليل وارتجت الأرض، ونزل جند الفراعنة يدخلون كل بيت، يبحثون عن أي فتى صغير، صاح أحدهم:

- يا عبرانيين، بحق إلهنا ومليكننا «بافرعاً»، لو لمحنّا لكم في هذا اليوم طفلاً أو فتى، فإنّا لن نقتله، بل سنفعل ما هو أشد، انظروا هناك، أترون هذه المباني التي تُبنى من الطوب الضخم؟ سنضعه مكان الطوب ونجعلكم تبنون عليه حتى تنسحق عظامه.

انتفض قلبي وتجمدت أفكاري وتجمد كل من كان بالمشهد ونظروا إلى نقطة واحدة، لقد خرج أحد الفتيان من مكمّنه. كان يمشي تلك المشية الواثقة التي أستغربها، نظر إليه الجنود جميعاً، فتى ضخم الجسد قوي، ينعقد شعره الطويل الكثيف وراء ظهره، وإحدى عينيه تبدو كالعنبّة الطافية، هكذا فجأة وجدوه أمامهم يمشي بثقة، إنه هو، ميخا. مد أحد الجنود يده إلى سلاحه، وقبل أن تصل يد الجندي إلى السلاح وقبل أن أدرك الأمر، هجم ميخا بيد، فولاذية أمسك بالجندي ورفعها كأنه يرفع طفلاً ورماه بقسوة، ولم يكن ما حدث بعدها خيراً.

خرجت السيوف من أعمادها، لكن ميخا لم يهتز، تكالبوا عليه، دفعوه وأوقعوه أرضاً، ولكنه قتل منهم كثيراً، لا تسألني كيف كان فتى أعزل يفعل هذا، لكن هذا ما رأيته، يكفي أن يمسك بحلقك بتلك اليد الفولاذية فتتحطم حنجرتك، احتاج الأمر إلى عشرة رجال بل أكثر ليمسكوا به

ويقيده ثم يسحبوه لينفذوا به ذلك الوعيد الذي أطلقوه، أن يبنوا عليه الجدار. قيده الرجال بالحبال، في حين التقطت عيني في جانب المشهد اثنين واقفين ينظران إلى هذا كله بهدوء، الرجلين نفسيهما، الساحر وصاحبه الذي يغطي رأسه، أرى الآن جزءاً من ملامح صاحب العبادة، أترأه هو الشيطان القديم لوسيفر؟ لا غرابة فقد رأينا كل من يمكن في هذه الرحلة، لم يبقَ إلا هو، لكن ماذا يفعل هنا؟ ومن هذا الساحر الذي بجواره؟ لا أستطيع سماع حديثهما.

جرّ الجنود ميخا مقيداً بالحبال الغليظة ثم وضعوه على أحد الأحجار الضخمة وتعاونوا جميعاً على حمل حجر كبير ليضعوه فوقه، لو ترك الرجال الآن الحجر عليه سيهشم عظامه بلا شك، اقترب منه الرجال وهم يحملون الحجر بصعوبة، وإبليس وصاحبه ينظران من بعيد بلا كلمة، وأم الفتى تصرخ ولا سامع لها، و...

- توقفوا.

صوت هادر أتى من ناحية اليمين، نظرت ونظر الجميع، فإذا هو فتى شاب يرتدي رداءً فاخراً، يغطي كامل جسده وليس كما يحب الفراعنة تعرية صدورهم، أسمر اللون جميل الملامح، قوي الشكيمة، دفعهم دفعة واحدة فسقط الحجر منهم على الأرض وصرخ فيهم يعاتبهم وهم ينظرون إلى الأرض بتبجيل، من هذا؟

دخلتُ إلى أعماق روح ذلك الذي نسكن فيه لعلني آخذ منها علماً.. وتفتحت كل جنابات روحي من الدهشة. هذا الذي أنقذ ميخا هو الأمير، ابن الفرعون؛ هذا الأمير الأسمر هو موسى.

«أحياناً تُغَيِّرُ العجول عقول الرجال».

كل شيء تغير لَمَّا دخل موسى؛ فقد اشتهر أنه ينصر المظلومين من بني إسرائيل، نظرنا من مخبئنا إلى ما يجري، رأينا الرجلين المريبين يتحركان بسرعة ناحية ميخا، أحدهم كاهن ساحر، وهذه رتبة لا يمكن لأحد أن يقف أمامها في هذه الدولة ولو كان الأمير، قال الساحر ذو الرداء الأحمر:

- عظيم يا موسى يا هبة النيل، سنأخذ هذا الفتى معنا، فإن الآلهة قد حفظته، وإن له شأنًا.

نظر الجميع إلى الساحر وهو يفك قيود ميخا الذي أصبحت نظرتة شديدة الإرعاب، هذه هي الفرصة لأخرج من هذا الذي نسكن فيه وندخل إلى هذا الساحر، هكذا سنفهم كل شيء دفعة واحدة، وبالفعل تملّصت الـ «كا» حتى اتحدت مع روح الساحر، ولكن...

قبضة ضغطت على روحنا كآلف قبضة، ما هذه الروح التي نحن فيها؟ ظهر على عين الساحر تعبير مذهول ثم انقلب إلى تعبير قاسٍ انتقامي وكأنه فهم دخولنا، جعل يرفع رأسه إلى السماء، يا إلهي.. هذا رجل يتحكم بروحه ذاتها، بدأنا نصعد خارجًا من جسده، لكن هيهات، دسنا أنفسنا إلى أعماق أعماق روحه لنستشعر فيها كل معلومة قد تجعلنا نفهم. سقانا مما أوتي كثيرًا، وكلما تعلمنا ارتجفنا، ما هذا بعلم بشر، وفجأة انتفض الرجل نفضة قوية طردتنا خارجًا نتقلب على الأرض بلا هدى حتى سكنا في آخر مكان نود السُّكنى فيه، دخلنا روح حيوان، رأيت الرجال وهم يبتعدون ومعهم ميخا الذي نظر ناحية الحيوان الذي نحن فيه نظرة حادة.

عجل، يمضي بنا في ربوع مصر، يأكل من هنا وهناك، حاولنا بكل الطرائق أن نخرج منه لكن لم نقدر، سنوات مرت ونحن نحاول، لكن لا يوجد شيء يلهب مشاعره البليدة، وكلما مللنا استرجعنا ما علمناه من روح الساحر، العلوم التي مع هؤلاء هي منتهى العلوم كلها، من كتاب

رازئيل إلى ألواح إدريس، إلى علم هندسي وفلكي ابتكروه بأنفسهم، لا عجب أنهم أسياد الحضارة بلا منازع، لكن هل هذه هي نهاية الرحلة؟ نريد الخروج من هذا الشيء.

في سواد أيامنا داخل العجل رأينا رؤيا لا ندري ما تعبيرها: «رأينا أن رجلاً ذا شعر ذهبي جميل يحمل خشبة كبيرة على ظهره ويسير بها وسط أناس يجتمعون يميناً وشمالاً، بعضهم يسخر منه وبعضهم يبكي عليه، ووسط الجموع رأيت رجلاً ينظر إليه بشماتة ويبتسم، رجلاً أعور يشبه ميخا تماماً».

هذا الأعور أصبح يأتي في كوابيسنا، فجأة برز أمامنا وجه، بل عدة وجوه، وأحدهم يبتسم بإجلال ويقول:
- هل تأخرنا عليك؟

أخذونا معهم، لو حكيت لأحد ما يحدث معنا الآن لما صدقنا، نحن في عجل موضوع على منصة في ساحة خارجية لمعبد ما، وآلاف يجتمعون حول المعبد يفعلون شيئاً واحداً؛ يعبدوننا، ونحن داخل العجل «أبيس» الذي كانوا يبحثون عنه في ربوع مصر كلها، العجل الأسود ذو العلامة المثلثة البيضاء على جبهته، ولماً وجدوه أتوا به ونصبوه في المعبد، بدأت أدرك أن وجودنا في هذا العجل ليس صدفة، ثم رأيت، هو نفسه بعد كل هذه السنين، واقفاً بجواري يقود طقوس عبادة العجل.

لقد أصبح اليوم هو الكاهن الأعظم للعجل المقدس أبيس، صار شاباً يافعاً قوياً ذا مظهر قائد وعيون نافذة، تعلم كل شيء من علومهم، لا، بل هم علموه كل شيء، لقد كانوا ينتظرونه، ظلمت أرمقه ولم أدرك إلا وقماشة سوداء قد غطت رأس العجل، وأخذنا إلى داخل المعبد.

رجال يقفون حولنا، كل واحد منهم يرتدي قناعاً على رأسه، هو قناع ابن آوى الأسود الذي يشبه الذئب، إنهم كهنة التحنيط، وقبل أن نفهم ما يحدث، مسّ سكين حاد رقبة العجل وذبحه، وصعدت روحه وصعدت أرواحنا معه تتخبط في جدران المعبد ونقوشه، أبعد أحد الكهنة قناعه

واستعد ليغادر المكان، كان هو نفسه صاحب العين الطافية التي ترعب الصخر، فليأخذنا أحد من هنا.

«ثلاث عيون في إنسان، البصر والروح، وعين البصيرة».

بعد خمس سنوات أخرى..

كنا نهيم في روح أحد كهنة الفرعون، ويبدو أنها روح شديدة النفاق؛ فكل أجزائها صفراء، عرفت منها أنها روح كاهن اسمه «يانز»، وجدته واقفاً في شرفة قصر الفرعون يتطلع إلى الصروح العظيمة، ثم توهجت مشاعره بسرعة لما رأى مشهداً غريباً يحدث خارج القصر، رجلان أحدهما أسمر طويل قوي الشكيمة يمسك بعصا، والآخر يشبهه قليلاً، يقتربان من القصر بحزم، أخبرتني روح الكاهن أن صاحب العصا هو موسى الذي هرب من القصر منذ مدة طويلة بعد أن قتل رجلاً من آل فرعون، لكن ما الذي أتى به الآن إلى حتفه؟ ومن هذا الذي معه؟

رأيت عدة أسود متوحشة عند بوابة القصر تحرسه لتفتك بمن يقترب، كانت تزأر بحدة، ورجال القصر يحاولون السيطرة عليها، فوقف موسى وصاحبه مكانهما، وبسرعة انطلق الكاهن الذي أسكن فيه إلى الفرعون ليخبره، دخل عليه وهو في ملأ من العائلة الملكية وصرخ:

- يا فرعون إن ابنك الهارب موسى قد حضر.

قام الفرعون من عرشه وقال:

- كيف تجرّأ؟ أين الجنود والأسود؟ اقتلوه.

ارتعش جميع الحاضرين، ثم سمعنا زئيراً يقترب من القاعة، لم يكن هذا طبيعياً، نظر الكل إلى باب القاعة بترقب، وفي مشهد مهيب دخل موسى

والفتى الذي معه ومعهما الأسود التي كانت تلتصق بأرجلها بود وتزأر بخضوع. وقف موسى وكل شيء في مظهره ينطق بالقوة والنبوة وقال:

- يا فرعون، إنني وأخي هارون رسولان من ربك إليك لنهديك، فكف عن تعذيب بني إسرائيل، تذبح أبناءهم وتستحيي نساءهم، وتكلفهم ما لا طاقة لأحد به، فإن اهتديت فالسلام لك، وإن أبيت فأتق عذاب ربك.

قال فرعون بعينه التي يملؤها الكحل:

- أي رب هذا؟ ألسنا قد ربيناك بيننا سنين؟ ثم لما اشتد عودك فعلت فعلتك وهربت، أفتأتيني الآن وتزعم أنك رسول؟ انظروا أيها المملأ إلى هذا الرسول المجنون.

قال موسى بقوة:

- فعلتها وأنا ضال وفرتت خوفاً منكم فجعلني ربي من المرسلين، أما ربك يا فرعون فهو رب السماوات والأرض الذي خلق كل شيء ثم هدى.

- إن اتخذت إلها غيري يا موسى فليس لك سوى السجن تدخله حتى تتحلل، ولتجعل إلهك رب السماوات يخرجك منه.

سكت موسى قليلاً ثم قال:

- وماذا إن جئت بك بعلامة؟

وقبل أن يستفهم فرعون عن معنى هذا، ألقى موسى عصاه على الأرض أمام الجميع، نظرت الحاشية إلى العصا الملقاة، ثم حدث المشهد الشهير: المشهد الذي جعل الـ «كا» خاصتنا تهرب وتطفو في سقف القاعة، العصا بدأت تتحرك تحركاً مستحيلاً وأجزاء فيها تتغير وتتبدل حتى استحالت ثعباناً له فحيح، تحرك الثعبان ناحية الفرعون بجسده الذي يقذف الرعب في القلوب وفتح فكه وأخرج لسانه المشقوق، كنت

أسمع دقات قلب الفرعون، أي إله ذلك الذي يتجمد على كرسيه لرؤية
ثعبان؟ قال أحد الرجال من الملأ:

- أبعده عنه.

أدخل موسى يده السمراء في ياقة قميصه ببطء ثم أخرجها ومدها
إلى ناحية الثعبان، ابتلع الجميع لعابهم بصعوبة لأن يد موسى أصبحت
بيضاء ناصعة، وعلى الفور توقف الثعبان وزحف ناحية اليد البيضاء، ثم
رفع رأسه المخيفة إليها، وعندما مسّها الثعبان عاد عصا في يد موسى،
وعادت يد موسى سمراء كما كانت.

كل الملأ الذين كانوا حاضرين في ذلك المشهد كانوا من كُبراء
العائلة الفرعونية، وإن لم يتصرف الفرعون الآن، فإن هذا ربما يعني
نهاية عرشه، فهو الذي يدّعي الألوهية والربوبية والعلم.

«العين تعرف النور لمّا تراه، ولو كان على شكل ثعبان».

ظللنا طافين في الجو ننظر إلى السكون التام الذي خيم على رؤوس
الجميع بعد معجزة موسى، ثم قام فرعون من مقامه.
توجد لحظات تكتشف فيها أن بعض الشخصيات التاريخية حقًا
استحقت كل الضجة التي أثّرت حولها، وفرعون حقًا كان فرعون، قام
من عرشه وتقدم بخطوات ثابتة ناحية موسى الذي كان واقفًا كالطود
العظيم. قال فرعون وهو يمشي وينظر إلى عصا موسى من أسفلها إلى
أعلىها:

- فنون سحر الهيكا هذا الذي عملته منذ قليل، بل إنني أعرف
الساحر الذي علمك، أوباینر، أليس كذلك؟

نظر موسى وهارون بتساؤل إلى فرعون الذي أكمل بصوت ثابت:

- قصة شائعة جدًا في بلادنا، قصة خوفو والسحرة، دعني أذكرك، عندما اجتمع المملأ أمام الملك خوفو وحكوا له حكايا السحرة الكبار، واحدة من الحكايات كانت عن الساحر أوبايئر الذي عمل تمساحًا من الشمع ثم جعله حيًّا.

استدار فرعون إلى ملئه وقال:

- إنما هذا الإنسان ساحر عليم، يظن أنه سيخرجنا من هذه الأرض بسحره، ولا يدري أن هذه هي أرض السحرة، فماذا ترون فيه؟ إنني أرى أن نقتله على الفور.

برز رجل نعرفه لأننا رأيناه في بداية القصة، مؤمن آل فرعون «سيتكا»، أخو فرعون الشقيق، وقال بلا خوف:

- أتقتلون رجلًا أن يقول ربي الله؟!

قال موسى:

- إني التجأت إلى ربي منكم ومن كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب.

بدأت نفس فرعون تغلي غضبًا وقال:

- ما أريكم إلا ما أرى، ذروني أقتل هذا الإنسان.

قال أحدهم:

- قتله سيجعل منه بطلًا، لقد أثر في بعض العامة بهذه الألاعيب،

فليأت بسحره ونأت بسحرنا وسنغلبه أمام العامة، يكفي أن لدينا الساحر ميخا، الكاهن الأعظم للعجل أبيس.

بدت على موسى نظرة دهشة، لقد كانت المرة الأولى التي يعرف أن ميخا اليهودي قد اتخذ طريق السحر، بل صار كبير السحرة.

قال فرعون بلا تفكير:

- فلنأتينك بسحر أكثر فتكًا من سحرك، فاجعل بيننا وبينك موعدًا.

قال موسى بسرعة:

- يوم الزينة.

بدأت على جبهة فرعون المفاجأة، يوم الزينة.. اليوم المشهود.
انفضَّ المجلس وانطلق الساحر إلى أمير السحرة ميخا. دخلنا مع
الساحر إلى معبد العجل أبيس في ممفيس، ساحة فاخرة في نهايتها
أكبر تمثال على وجه الأرض، تمثال عجل، وكان تحت التمثال رجل واقف؛
رجل أعور. الرجل ليس مخيفاً لكنه يقتحمك، نظرتة وعينه يجعلانك
ترتجف وكأنك عارٍ مكشوف أمامه، كان الرجل ذو الروح الصفراء الذي
نسكنه يتحدث بانفعال عما فعل موسى والثعبان، وأنه يجب أن نجتمع
السحرة، والأعور جامد الملامح، ولما انتهى قال الأعور:

- لا أحد يُحوّل الجماد إلى كائن حي بالسكر، إنما قد سحر أعينكم.

هم الرجل بالحديث لكن الأعور أوقفه بإشارة من يده، وقال:

- لقد تعلم ذلك الرجل من السكر ما لا يُعرف في هذه البلاد، فليكن
موعدنا يوم الزينة، وإن كان يحب الحيات، فلا بد أنه سيعجبه
مذاقها.

مد الأعور يده إلى الرجل بقنينة فيها سائل أبيض، وقال له كلاماً
جعل رأسي يدور، أي شيطان هذا؟!

«في يوم الزينة انكشف صانعو الزينة».

أتى اليوم المشهود، وخرج الساحر يانز الذي بُلينا بالسكن في روحه
من بيته، وقد خرج المصريون من بيوتهم بأحسن الألبسة، البعض
تجمهروا على ضفاف النيل يضعون فيه قوارب ملونة، هذا يوم «واج
وتحوت» حيث يحتفلون بأوزيريس وبجميع الموتى، لكن أغلب الماشين

يتحركون بخطى سريعة إلى ساحة الفرعون، لأن مواجهة السحرة قد أشرفت.

أعمدة ومعابد ونقوش ملونة وأزهار طائرة، مررنا على كل ذلك حتى وصلنا إلى الساحة المشهودة. وجدنا فرعون يجلس واثقاً وحوله حاشيته، وآسية واقفة في الشرفة القريبة تنظر بقلق بالغ. سمعنا ضجة من ناحية الناس فنظرت إليهم فإذا موسى.. يا لبهاء هذا الإنسان، فقط هيئته تنطق بالقوة والنبوة، كانت معه عصاه إياها. انتقلت الضجة إلى ناحية أخرى ظهر فيها إنسان آخر، ميخا بشعره الجعد وعينه الطافية، كان يرتدي عباءة حمراء يتخللها السواد وحوله عشرة من السحرة الكبار.. ذاك رجل ينقبض قلبك لما تراه. ظننت أن الساحر يانز الذي نسكن فيه سيتوجه إلى ناحية السحرة، لكنه توجه إلى ناحية موسى.

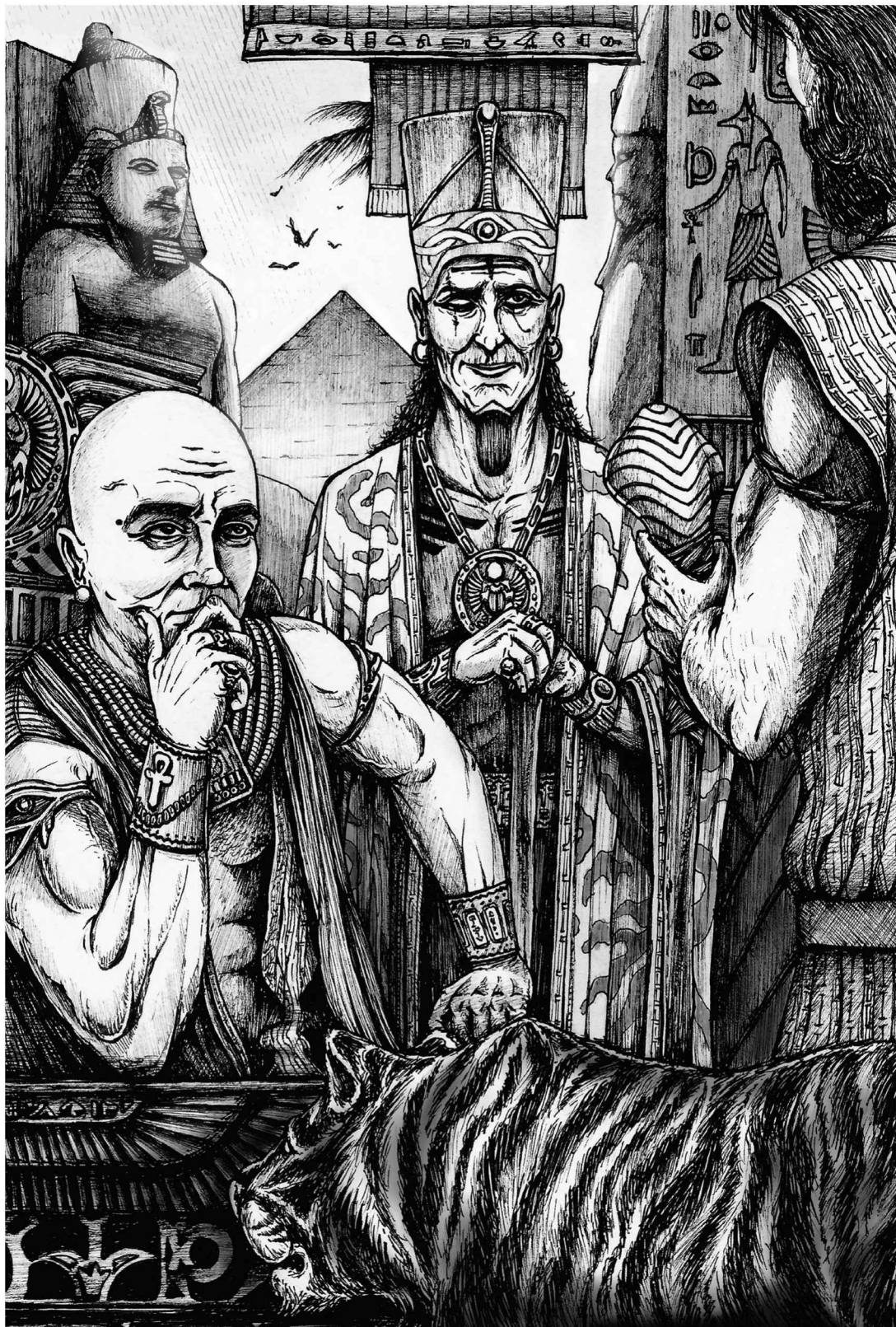
الآن فقط لاحظت أن يانز يمسك في يده بقارورة فيها نبيذ أحمر أو عصير مخلوط بسم الثعابين، كان يتجه بها إلى موسى، ولما وصل أحنى رأسه لموسى وقدمها له بتواضع:

- تفضل يا سيدي، تحية من الفرعون.

نظر موسى إلى القارورة ثم نظر إلى الأعور ميخا فوجده يشرب قارورة مماثلة، تناول موسى القارورة وشربها على الفور، انقبضت روعي، يا رباه! لقد شرب السم.. قال موسى:

- اذهب إلى من صنع هذا وأخبره أن السموم لا تؤثر في خادمي الله.

بدأت روح يانز ترتجف وبدأت بعض قناعاته تهتز، لكنه تماسك وانطلق إلى ناحية ميخا. بدأ العرض بأن ألقى جميع السحرة عصيهم على الأرض، فأخذت العصي تتثنى وتتحرك إلى الأمام، بل وترفع رأسها، دققت النظر، يا للسماء أهذه حيّات حقًا؟ لكن ثعبان موسى كان... يا



إلهي! انقلبت عصا موسى إلى ثعبان مبین، هجم بفك ثعبان وبفحيح ثعبان وابتلع جميع حياتهم أو ما يبدو أنه حياتهم. وجدنا أنفسنا نهبط على الأرض، أو بتعبير أكثر دقة يهبط رأس يانز على الأرض، لم أكن أفهم الأمر في البداية، الرأس ينزل إلى الأرض واللون الأصفر الذي في الروح يتحول إلى لون أبيض صافٍ، هذا الرجل يسجد. رأيت جميع السحرة الذين حول الأعور يسجدون، جميعهم بلا استثناء، وبقي هو وسطهم واقفاً لا ينحني، مثله كمثل إبليس إذ رفض السجود بين الملائكة، وبحقّ كان ذلك المشهد أشد هيبّة من كل ما يقال عنه.

«هرم الأعور أعظم من كل هرم».

أسوأ شيء أن تحل في روح متعبة لا تتجاوب معك، نسكن اليوم في عامل بناء مصري ضخم الجثة بلغ منه التعب أن أصبح يمشي ولا يفكر، أرى الأعور وبجواره هامان العجوز يمشيان هناك ويتحدثان في أمر مهم ولا أسمع ما يقولان. حاولنا استفزاز الرجل حتى يتحرك بخطوات أسرع ليقترب منهما لكن لا فائدة.. بجوارنا مجرى مائي كبير مصنوع من الطوب الطيني والكل يمشي بمحاذاته. عشرات من عمال البناء الآخرين يمسون حبالاً يسحبون بها أحجاراً ضخمة تطفو في المجرى المائي، كل حجر منها ملفوف بوسائد من كل جوانبه حتى يطفو. كانوا يبنون الهرم الأعظم، هرم نجمة الفرعون «با فرعا»، أعلى هرم على سطح الأرض، حتى إنه أكبر طولاً من هرم خوفو. بدأ العامل الذي نسكنه يتجاوب معي وقد أشعلت حماسه للسماع، فأسرع من مشيه ليقترب من الأعور.

- أنت منهم، عبراني، سيثقون بك.

قالها هامان للأعور، فنظر إليه الأعور قائلاً:

- عليك أن تُقنع الفرعون بهذا، أخبره أنها الطريقة الوحيدة لاكتشاف سر السحر الذي يستعملون به على أسحارنا.

كنا قد وصلنا إلى الهرم الأعظم، لا يزال في طور البناء، هنا رأيت أعجب شيء هندسي تعرف به لماذا تفوق الفراعنة على الجميع، انس كل ما قرأته يوماً عن طريقة بنائهم الأهرام، لأننا نرى شيئاً استثنائياً الآن. توقف جميع العمال لما وصلت الأحجار الضخمة إلى نهاية المجرى المائي، وأصبح عليهم رفع الأحجار لتصل إلى أعلى الهرم، فنظموا الأحجار صفّاً في الماء، وكان المجرى المائي يرتفع ممتداً إلى أعلى الهرم كأنه أنبوب مغلق من الحجارة الطينية، لكن كيف سيعود الماء فيه؟ وإن صعد الماء كيف ستصعد فيه الأحجار الثقيلة؟ في الثانية التالية عرفت. فجأة ارتفع حاجز مثل البوابة في نهاية المجرى المائي فصعد الماء بفعل الضغط في الأنبوب الحجري وصعدت معه جميع الأحجار دفعة واحدة، الأمر مثل أن يكون لديك زجاجة مائلة فيها ماء فتضع شيئاً في أسفلها فيرتفع تلقائياً إلى قمته، أي عقول هذه؟ كل هذا يرجع إلى ذلك المهندس الأعظم هامان، سمعت الأعور يقول له:

- أنت تعلم أن الفرعون لا يناقش في هذا الأمر بالذات، حتى امرأته آسيا لما عرف أنها تؤمن بموسى علّقها بأوتاد وتركها تسلكها الشمس كل يوم، فهي باقية معلقة حتى اليوم، وأخوه سيتكا الذي يبدو أنه آمن بموسى هرب بمعجزة من فتكه.

- لا تكثر بهذا الأمر، فقط اذهب إليهم ودس نفسك وسطهم كمؤمن بهم، واثنتا بسر علومهم وبما يعزمون عليه.

حسم الأعور قراره، وتحرك بعيداً عن المكان وانطلق بعوار قلبه إلى قوم موسى.

«الشیطان يستميل القلوب أولاً ثم العقول».

بعد عشر سنوات..

ستر الليل أجسادهم وسكنت أصواتهم، كانوا يمشون في أفواج منفصلة متباعدة، كل فوج يتحرك بعد الآخر بساعة لئلا يراهم أحد، ستمئة ألف من الرجال والنساء والأطفال والعجزة كما ذكرت التوراة، دعاهم موسى إلى الخروج من الأرض بأمر الله فتركوا كل شيء وخرجوا، لم يكونوا هم جميع بني إسرائيل بل جزء منهم، فالبقية خافوا من آل فرعون ولم يرحلوا.

تعبنا حتى نصل وندخل في واحد منهم، جميعهم لا يدرون إلى أين هم ذاهبون، فقط موسى يعرف، والله يعرف، نظرت إلى ذلك الأعور الذي جئنا خصيصاً لنتبعه، كان يمشي وسط كل هؤلاء بعينه العوراء في الفوج الذي فيه موسى. كان قد مكث في قوم موسى عشر سنوات يوافق بني إسرائيل حتى بلغ فيهم مكانة كبيرة، كانوا ينظرون إليه كما تنظر إلى ساحر ماهر تائب، وما زالت هيبتة باقية في نفسك، وازداد هيبة بعد إيمانه، لكنه كان ينقل أخبارهم إلى فرعون. وثقوا به ثقة كبيرة حتى أسندوا إليه أن يكون سامري، والسامري عند بني إسرائيل أو الـ Shomer هو الأمين الذي تحفظ عنده أموالك وذهبك وتعطيه على ذلك أجرًا، وكان الأعور هو السامري الذي يكنز الذهب بالأجر.

في تلك الليلة رأيته يحاول بكل طريقة أن يعرف الاتجاه الذي سيمضي إليه هؤلاء حتى يخبر آل فرعون، كنّا نمشي في طريق ثم نتوقف ونتجه إلى آخر ثم نعود أدراجنا ونمشي في طريق ثالث، هذا ليس جيدًا، من المفترض أن يكون الطريق معروفًا حتى نختفي عن الأنظار سريعًا، لكن هذا لم يحدث، ما زلتُ أرى أضواء المدينة، وكل ساعة نتوقف ونعود. توقف موسى مرة أخرى وجمع كبراء قومه وقال:

- إما أننا ضللنا وإما أن هذا الطريق لا يستوي لنا.

قال له كبير القوم:

- يا موسى، إن نبي الله يوسف قبل أن يموت أخذ علينا موثقاً، أنه إذا أكرمنا الله بالخروج من هذه الأرض إلى الأرض الموعودة المقدسة أن نأخذ تابوته معنا.

قال موسى:

- ولن يهدينا ربنا إلا إذا أوفينا بوصية يوسف، فأين هو تابوته؟ سكت الجميع، تابوت يوسف هذا قد خبأه الملك الخبيث «نبكا» بعد موت الملك «زوسر» عزيز مصر الذي كان يحب يوسف، ولا يعرف أحد موضعه. تسلل اليأس إلى قلوب الرجال حتى تناول أحدهم وقال:

- يا موسى، إن هذا التابوت لا يعلم موضعه إلا امرأة عجوز في حبرون، هي سارح بنت أشر بن يعقوب، عجوز ما زالت تعيش منذ عهد يوسف.

وتوقف ستمئة ألف إنسان، بوجل تخفق قلوبهم وعيونهم تنظر حولها، كلهم ينتظرون رجلاً بعثه موسى ليحضر امرأة عجوز، من داخل أرض الفرعون.

«كاهن التحنيط يفهم معنى الخلود إذا رآه».

تنفس الصبح على حشد من الرجال يمشون بحذر، يحمل اثنان منهم على أكتافهم امرأة عجوزاً ذات وجه صابح بالإيمان أبت أن تدلهم على مكان التابوت حتى أخذت من موسى عهداً أن تكون معه في الجنة، وقد أمره الله أن يعطيها هذا العهد، كان معنا موسى وهارون وميخا السامري الأعور ونحن نتجه من شمال مصر إلى جنوبها، طال مسيرنا أياماً، وبنو إسرائيل قد أخفوا أنفسهم خارج المدن ينتظرون أمر الله. انتهت بنا العجوز إلى بحيرة عظيمة اشتهرت بعد ذلك باسم بحيرة قارون، أشارت العجوز إلى البحيرة وقالت:

- جففوا هذا الماء.

نظر الناس بعضهم إلى بعض، كيف نجفف ماء بحيرة؟! فقالوا إنها عجوز خرفة، لكن موسى سألها:

- أين موضعه بالضبط في البحيرة؟

أشارت إلى موضع معين، فتقدم موسى من البحيرة ووقف على طرفها، ونظرنا جميعاً إلى آية من آيات رب العالمين، رفع موسى عصاه ومسّ بها طرف البحيرة فانشقت، سمعت شهقة السامري وهو يقول:

- يا للسماء، يشق البحر، إنها أسطورة كنا نحكيها للناس ونحن نعرف أنها خرافة، هذا مستحيل.

قال أحد الرجال:

- نعم أذكرها، كانوا يفسدون عقولنا بهذه القصص، «دادامان» الساحر الذي شقّ النهر نصفين في قصة خوفو لأجل أن تجد جارية الملك قلادة وقعت منها، فسبحان الله الذي أعطى نبيه الآيات التي كان يظنها القوم أسحاراً.

نظرنا إلى أرض البحيرة فوجدناها خضراء، أشارت العجوز إلى نقطة في وسط أرضها وقالت:

- احفروا هنا.

هرع الرجال يحفرون الأرض، والأعور لا يحفر معهم، بل كان ينظر إلى الاخضرار العجيب الذي حل في هذه الأرض، كانت هي البقعة الوحيدة الخضراء على طول نهر النيل السائر في إفريقيا كلها، وكأنها في الخريطة شامة خضراء في وسط صحراء صفراء، وهي كذلك حتى اليوم.

ركع السامري على ركبتيه وهو يتلمس التربة ويُحدِّث نفسه بحديث لم أسمع، كأن الرجل قد فقد صوابه، تلك الأرض قد اخضرت لوجود تابوت النبي يوسف فيها.

رأيت الرجال ينشغلون بالحديث واستخراج التابوت، والسامري قد انضم إليهم لكنه كان يفعل شيئاً آخر، كان يتلمس التراب الذي يحيط بالتابوت، ذرات من تراب عجيبة ذات لون مختلف، قبض السامري منها قبضة وأخفاها في رحاله، ولم يره أحد إلا أنا.

حمل الرجال التابوت على أكتافهم واستداروا عائدين، ومشى معهم السامري وهو سارح في كل ما رآه، والعرق يتصبب منه من جهد الفكر، كان هذا الذي أخذه واحداً من أكثر الأشياء فتنة في تاريخ بني إسرائيل، بل في تاريخ العالم كله، الأثر، أثر الرسول.

«كل هرم كان في أصله شر».

هبط الظلام وبنو إسرائيل يحملون التابوت الذي كان يُشع في الليل إشعاع النجوم فيضيء الطريق، ولم ينتبه أحد للأعور وهو ينسل من وراء الجمع ويختفي، نحن فقط رأيناه، ونحن فقط تبعناه، هذا الرجل رأى شيئاً غير مفاهيم حياته، ولا أدري ماذا سيفعل، كان يتجه بسرعة إلى المدينة، لديه جسد قوي أتعبنا في ملاحقته، ولما وصل إلى المدينة ظننته سيهرع إلى فرعون ليخبره بمكان بني إسرائيل، لكنه توجه إلى مكان آخر، بعيداً عن كل أحد، إلى الهرم الأعظم، هرم النجمة الذي كان قد اكتمل بناؤه.

كان أكبر هرم في مصر وأعلى قمة وُجدت في العالم يوماً ما، أبيض متلألئاً في الليل كأنه درة عظيمة، رأيت الأعور يدخله من بوابة فيه، ومن عجلته تركها وراءه ولم يغلقها. دخلنا وراءه، كان يقف أمام ضوء

مشتعل فبدا جسده كأنه ظل أسود ممتد، رأيته يرفع يديه وهما تمسكان بشيء ما لم أتبينه في الظلام، ثم فجأة نزل بذلك الشيء بأقصى قوة على صدره، وسمعت صوت اختراق جسد، يا إلهي، هذا الرجل يطعن نفسه.

ما لم نعرفه وقتها أن الرجل طعن نفسه بنصل مجوف يحوي بداخله مصهور ذلك التراب الذي قبضه من أسفل تابوت يوسف، ذلك التراب الذي كلما جربه على شيء يحيا في دقائق، يرميه على أرض فتزهر، يرميه على صخر فينبت ويخضر على الفور، لكن الأعور قرر في تلك الليلة قرارًا آخر، أن يسيل هذا الشيء في عروقه وأوردته، صرخ الأعور صرخة تردد صداها في جوانب الهرم، وانثنى على نفسه وانتفض، واهتز.

ارتعب فؤادي وأنا أنظر إلى انتفاضته، وبدا أن حواسه كلها قد تفتحت وشعوره أصبح أعلى، وفجأة استدار، نظر إلى الموضع الذي نختبئ فيه رغم أننا لم نصدر حركة ولا صوتًا، سقط الخنجر المجوف عن صدره ورأيته يتقدم نحونا، وعلى الرغم من أنه كان بعيدًا عنا بأربعة أمتار فإننا وجدناه أمامنا في ثانية واحدة، وفي ثانية واحدة مضت يده كالخنجر في رقبة الرجل الذي نسكن فيه.

حاولنا الهرب في تلك الليلة بكل طريقة، لكن ما لم نكن ندريه أن ذلك الأعور أصبح جسده لا يهرم ولا يموت بعد أن طعن نفسه، وصارت سرعته كلمح البصر، وانكشف الغطاء عن عينه فصار يرى ما لا يراه أحد من جن وملائكة وأرواح، لقد أمسك الـ «كا» خاصتنا كأنه يراها وسحقها بيده ورمها لتسيل متهتكة على جدران الكهف، بدأت الصورة تخفت في عيننا والصوت يتباعد، حتى اسود كل شيء، وانتهى كل شيء.

**** تمت ****

بسرعة انقضت الـ «كا» على الهرم المصري الأكبر كانهضاض طائر العقاب على فريسته، وانطلقت تسري في الممر الحجري المصنوع لها داخل الهرم، حتى حطت على أرض الحجرة الملكية في الهرم، فانبعث لهبوطها شيء من الغبار الأثري من الأرض، ولم تلبث أن انقسمت وخرجت كل روح إلى صاحبها، أفاق الثلاثة من غفوتهم وقال لويب بدهشة:

- هذه الشمعة ما زالت على طولها كأننا ما لبثنا إلا دقائق.

قال له بوبي وضوء الشمعة يتراقص على وجهه:

- كذلك في علم الروح ترى السنين كأنها ثوانٍ أو ترى الثواني كأنها سنون، فإذا كان ما يطول معك هي مشاهد السعادة فروحك أسعد، وإن طال مشاهد الكوابيس فروحك أشقى.

قال ليوبولد باستفهام حقيقي:

- كيف علمت كل هذا؟ نحن نلهث فقط لاستيعابك.

سكت بوبي قليلاً ثم قال:

- التوحد يُلقِي على المخ قدرات خاصة جداً، وكانت قدراتي في حفظ الكتب، والحق أن مكتبة والدي كلها موضوعة هنا في هذا المخ.

قال له لويب:

- هل علمك يعقوب فرانك كل شيء؟

تنهد بوبي وضيق عينيه قليلاً وهو ينظر بعيداً، ثم بدأ يتحدث بما لم يتحدث به من قبل. قال بوبي:

- إني أذكر مشهداً واحداً لا يمكن أن أنساه، في ذلك اليوم كنت أقف مع أبي يعقوب فرانك تحت أطول مبنى في شيكاغو بأكملها، مبنى المعبد الماسوني Masonic Temple، وهو ناطحة سحاب شديدة الفخامة، وكما فهمت من أبي فإن هناك طائفة يدعون

أنفسهم بالماسون يجتمعون دورياً في الطابق العلوي وراء زجاج مكاتبهم، ناظرين إلى المدينة التي يزعمون أنهم يحكمونها، لم أكن أصدق أياً من هذا الهراء على صغر سني.

كنت في الرابعة والعشرين من عمري وقد شارفت أن أنتهي من السنة الأخيرة في الجامعة، والحق أقول لكم.. إن كل شيء تعلمته تقريباً كان في هذا المبني. كنت أظن في البداية أنهم سيكونون سوداويين المنظر، لكنني فوجئت، لمّا دخلت، بأنهم كانوا على أعلى قدر من الأناقة، وكانوا ذوي سلوك حسن.. أطباء ومحامون ورجال أعمال، وكانوا في جلسة تمجيد للآلهة، فهمت أنهم يعبدون إلهاً يُدعى نيهوشتان، مثل بني إسرائيل الذين كانوا يعبدون الأفعى الذهبية نيهوشتان التي تحكي التوراة أن موسى صنعها لقومه. كانوا يلقبون أبي باسم كاجليوستو، لأنه كان يشبه الساحر كاجليوستو الفرنسي الذي يعدّونه أسطورة خاصة بعد أن استخرج علوم المصريين القدماء، ثم عاد إلى فرنسا وبنى مجموعة من المحافل الماسونية ذات الطابع الفرعوني هناك. كنت أنساءل عن هذه الماسونية التي ينتمي إليها أبي، والتي يريد أن يضمّني إليها، وفي ذلك المبني فهمت. كل العلوم الخفية كانت مدفونة تحت موضعين في هذا العالم، الأول هو تحت المسجد الأقصى والثاني هو جوف الهرم الأكبر. فنون هاروت وماروت وكتب السحر الأسود التي كتبتها الشياطين باسم سليمان كانت مدفونة تحت المسجد الأقصى، واستخرجها فرسان المعبد الذين أورثوها من بعدهم إلى منظمة شيطانية كانت هي بداية كل المنظمات السرية في العالم، الروزيكروشن، أو الصليب الوردي، وهم الذين انشقت عنهم الماسونية فيما بعد، ثم نجح رجال الروزيكروشن في استخراج العلوم المدفونة في الموضع الثاني، الهرم الأكبر، وتلك تضمنت سفر رازئيل وعلوم الأنبياء الأوائل في أتلانتيس وألواح إدريس الزمردية وعلوم المصريين القدماء بجميع أجيالهم. كاجليوستو العضو الأهم في الروزيكروشن، هو أول من أظهر أنه توجد علاقة بين المنظمات

الخفية من جهة والمصريين القدماء والأهرامات من جهة أخرى، وبمرور السنين ورثت الماسونية عنهم رموزهم المصرية وأسرارهم، وجعلوا الهرم الذي تتوسطه عين رمزاً لهم، هل علمتما لماذا تقدس الماسونية الهرم؟ كنت أسأل أبي دومًا عن فائدة هذه العلوم الخفية أصلاً، وكيف لها أن تجعلهم أعلى من غيرهم، فما أعرفه هو أن كل العلوم الحديثة التي تطور بها هذا العالم متاحة الآن في يد الناس ومعامل الأبحاث، فعلمني أبي كلمة لم أنسها يومًا، قال لي إن صاحب العلم يسود والباقي يتبعونه، فالعلم عبارة عن معلومة، لو علمت مثلاً أنه توجد أرض تحوي ذهباً في باطنها فهذا اسمه علم، وأنت تكون أعلى من غيرك لأنك أول من تستأجر عمالاً يستخرجون هذا الذهب. تعلمت أن الحضارات القديمة من أتلانتيس وما تفرع منها من حضارات في مصر وأنحاء العالم الأخرى كانت تتمتع بتطور أكثر مما نتخيله بسبب هذه العلوم الخفية التي كانت بذوراً لكثير من العلوم الحديثة التي نتمتع نحن بخيراتها الآن، والتي أصبح هؤلاء الكبار هم أصحاب الشركات التي تتحكم بها، والحقيقة أن هذا العالم كان يمكن أن يتطور أسرع بعشر مرات على الأقل لولا أن أولئك كانوا يُظهرون العلوم بحساب، لأن هذا يكفل لهم السيادة الدائمة، ولا يغيب عنكم كيف أن التكنولوجيا لا تعطى مرة واحدة بل تزيد في كل سنة شيئاً قليلاً حتى تستمر مكاسبهم إلى الأبد. كثير من الأمور يكون الناس في جدال حولها، وهؤلاء الكبار يعرفون حقيقتها لكنهم يخفونها لتظهر في الوقت المناسب، ولما تظهر في الوقت الصحيح تعني مزيداً من السطوة.

كلمة *Annuity coeptis* التي وضعوها على شعار الولايات المتحدة الأمريكية الرسمي، إنما تعني القبطي العظيم، أو المصري الأعظم السامري، وذلك الهرم المرسوم على الشعار ليس هرم خوفو الأكبر بل هو هرم الأعور، وهو هرم بُني بعد الأهرامات الثلاثة، وكان أكبر منهم جميعاً.

قال لويب مباشرة:

- أين هذا الهرم بالضبط في مصر؟

رد بوبي:

- حتى تعلم مكان هرم الأعمور يجب أن تعلم من هو فرعون موسى، لأن فرعون موسى هو الذي أمر ببنائه في الأصل ليكون أعلى قمة في التاريخ، فهذا الهرم مكتوب باسم فرعون موسى ليس باسم الأعمور الذي كان كاهنًا أكبر ومهندسًا للهرم مع هامان، فلا تُكتب الأهرامات بأسماء الكهنة بل بأسماء الملوك.

سأله لويب:

- ومن هو فرعون موسى؟ يظهر من كلامك أنه بعد خوفو بشخصين، لكن هذا غريب عن كل الآراء التي أعرفها.

قال بوبي وهو يعبث في عكازه:

- الاعتماد على التوراة وحدها أوصل المؤرخين إلى الجدل لأنه ليس فيها ما قد يدل على ملك بعينه بين جميع ملوك مصر، أما قرآن المسلمين، ففيه كل شيء.

سكتت أصوات الأخوين وهما يستمعان إلى شيء زاد من دهشتهم أضعافًا. قال بوبي:

- قرآن المسلمين حكى عن رجل ذي رتبة عالية اسمه «هامان» يعاون فرعون، قال الله في القرآن: «إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين»، ثم اتضح أن هامان أيضًا مسؤول عن أعمال البناء، حيث أمره فرعون أن يبني له بناءً عاليًا، فجاء في القرآن: «فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحًا لعلني أطلع إلى إله موسى».

الوحيد الذي تنطبق عليه هذه الصفات في التاريخ المصري القديم كله هو «هيمينو» وزير خوفو والمهندس الذي بنى الهرم الأكبر، أعلى

«صرح» هندسي أثري في العالم، فهذا ربما يعني أن خوفو هو فرعون أو هو ملك بعد خوفو بقليل، جاء في حياة الوزير هامان، سنؤجل الحكم على هذا قليلاً.

يدلل القرآن أيضًا على أن هذا البناء العالي هو من الطين أو له علاقة بالطين، لكن أهرامات الجيزة الثلاثة هي من أحجار جيرية ضخمة، حتى المِلاط المستخدم في لصق الأحجار بها لم يكن من الطين، ولكن بعد اكتشاف الطريقة التي بُنيت بها الأهرامات عرفنا أين استُخدم الطين بالضبط، فالمصريون قبل أن يبنوا أي هرم، لا بد أن يبنوا شبكة معقدة من المجاري الطينية ليجري فيها الماء، هذه المجاري تصعد إلى أعلى سطح الهرم وتُستخدم لنقل الحجارة ورفعها إلى الأعلى، ويجب بناؤها أولاً قبل بناء أي هرم، وبالفعل كان كلام فرعون دقيقاً وهو يقول «أوقد لي على الطين» «فاجعل لي صرحاً»، فلم يقل اجعل لي صرحاً من الطين، يعني أنه يوجد شيء يُبنى من الطين أولاً ثم نبني به الصرح أو نستخدمه في بناء الصرح.

قال لويب بتشكك:

- أصبح ما قرأناه أن فرعون هو بعيد تمامًا عن عهد خوفو، بل الأجدد أن يكون هو رمسيس الثاني، وهذا بعد خوفو بأكثر من ألف سنة.

قال بوبي وهو يطم شفتيه:

- دُحضت هذه الفكرة تاريخيًا، لكن توجد طريقة أخرى غير فكرة الطين والهرم تدلنا على معرفة زمن موسى بدقة، فكتب الأديان تقول إن النبي يوسف كان قبل موسى بزمن قليل جدًا، التوراة تؤكد أن يوسف كان قبل موسى بـ 64 سنة، والقرآن أكد هذه المدة القريبة بين موسى ويوسف لما ذكر خطاب مؤمن آل فرعون إلى فرعون وملئه حين كان يقول لهم بوضوح: «ولقد جاءكم يوسف

من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك
قلتم لن يبعث الله من بعده رسولاً»، فهو نص صريح يقول إن
قوم موسى هم الذين أتاها يوسف من قبل وشكوا فيما جاء به.

قال لويب بشرود:

- يعني إذا عرفنا زمن يوسف تاريخياً سنعرف تاريخ موسى.

قال بوبي باهتمام:

- نعم.. وفي التاريخ المصري القديم قبل عهد خوفو بستين سنة
تقريباً، كان يوجد ملك اسمه «زوسر»، حدثت في عهده مجاعة
شهيرة دُوّنت في لوحة فرعونية شهيرة اسمها لوحة المجاعة،
تتحدث عن سبع سنوات من المجاعة في زمن زوسر، وطبعاً
هذا يتطابق مع قصة يوسف في التوراة والمجاعة التي كانت
مُدتها سبع سنوات، ويتطابق مع قصة يوسف وعزيز مصر في
القرآن لما فسر له يوسف رؤياه قائلاً: «تزرعون سبع سنين دأباً،
ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن إلا قليلاً مما
تحصنون».

قال لويب:

- هذا تطابق حقيقي بين التوراة وتاريخ الفراعنة.

قال بوبي:

- لا يوجد شيء اسمه فراعنة، إنما اسمهم المصريون القدماء، وكلمة
فراعنة هذه أطلقها عليهم باحث يهودي الهوى كان يريد أن يوفق
بين فرعون التوراة والتاريخ المصري القديم، وهو اسم بغیض
لوصف حضارة بهذه العظمة أن تسميها باسم رجل مختل عقلياً
مثل فرعون. بغض النظر عن هذا، فلدينا الآن ثلاثة أدلة تؤكد أن
هذا الرجل المدعو فرعون قريب جداً من عهد خوفو، اسم هامان
في القرآن المسؤول عن بناء الصرح العالي الذي يتطابق مع

هيمينو المسؤول عن بناء الهرم العالي، فكرة المجاري الطينية التي تُبنى لصنع الهرم، وفكرة يوسف والمجاعة التي كانت في عهد زوسر. لكن يوجد دليل رابع أيضًا أن فرعون لم يخرج عن عصر خوفو أبدًا، وهو ما صرَّح به قرآن المسلمين بأن الله دَمَّر مباني ومعابد فرعون هو وقومه، لكنه لم يدمرها بعد غرق فرعون مباشرة بل بعد ذلك بزمان طويل، دَمَّرها تحديدًا عندما مَكَّن بني إسرائيل من الأرض المقدسة في عهد سليمان، أي إن الله دَمَّر بناءات فرعون وقومه بعد موت موسى بألف سنة تقريبًا، يقول الله: «وأورثنا القوم الذين كانوا يُستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها، ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون»، وتاريخ المصريين القدماء يثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن كل الأهرامات والمباني المصرية القديمة دُمرت تمامًا منذ أواخر الأسرة الثالثة بعد خوفو إلى الأسرة الثامنة عشرة، ألف سنة كاملة من الزمان دُمِّر كل ما صنعه المصريون القدماء فيها، حتى جاءت الأسرة الثامنة عشرة المصرية القديمة، التي يسمونها في التاريخ باسم الدولة الجديدة، وأصبحوا هم ومن بعدهم يبنون مباني ومعابد هي الباقية حتى اليوم.

قال ليوبولد:

- بحق الجحيم مَنْ الذي كان يدمر آثار الفراعنة لمدة ألف سنة كاملة؟

قال بوبي:

- هذه الآثار دُمرت جميعًا في وقت واحد كما قال القرآن في ظاهرة بيئية معروفة جيولوجيًا وتاريخيًا حتى في برديات المصريين القدماء، هي بركان جزيرة ثيرا اليونانية، الذي كان أكبر انفجار بركاني في التاريخ تقريبًا، والذي أدى إلى عواصف شديدة دمرت

كثيراً جداً من آثار المصريين القدماء، وهذا ما يحكيه أحمر بنفسه أول ملك في الأسرة الجديدة الثامنة عشرة، أنه نزلت أعاصير دمرت آثار من سبقوه، وأنه حاول ترميم بعضها.

المثير للنظر أن هذه الآثار دُمرت بعد ألف سنة من عهد خوفو، وفي القرآن يقول الله إنه دمر مباني فرعون (وقومه) بعد أن أسكن اليهود الأرض المقدسة، يعني في عهد النبي سليمان حين ملك اليهود الأرض المقدسة، وكان عهد سليمان بعد موسى بنحو ألف سنة.

والحقيقة أن هرم خوفو ما زال باقياً هو وخفرع ومنقرع من الأسرة الثالثة، فيستحيل أن يكون أحدهم فرعون، لكن يوجد هرم لـ «با فرعا»، أحد أبناء خوفو اسمه هرم زاوية العريان وهو هرم مُدَّم تماماً، ويتضح من أساساته الباقية حتى اليوم أنه كان ليضاهي هرم خوفو طوفاً ويمكن أن يعلو عليه.

دليل خامس هو أنه في عهد خوفو، كانت توجد بردية شهيرة جداً اسمها بردية وستكار، يحكي فيها «با فرعا» وبقية أولاد خوفو حكايات السحرة في ذلك الزمان، وذكروا منها قصة ساحر يشق النهر بعصاه، وساحر يُحوّل تمساحاً شمعيّاً إلى تمساح حي، وفي هذا تشابه شديد بين قصة موسى والسحرة.

دليل سادس أيضاً أن كلمة «با- فرعا» تعني بالمصرية القديمة «فرعا صاحب القوة الإلهية»، وقد كان معروفاً عن فرعون أنه يدعي الألوهية لما قال: «أنا ربكم الأعلى»، وقال: «يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري»، بذلك فقد تحولت كلمة فرعا إلى فرعون بالطريقة نفسها التي تحولت بها كلمة قورا في التوراة إلى قارون الذي هو من قوم موسى كذلك. ويتضح من لغوية القرآن أن كلمة فرعون إنما هي اسم شخص وليست صفة، لأنك تجدها في القرآن ممنوعة من الصرف بحكم أنها اسم

علم أعجمي، فلا يجري عليها التنوين، ولو كانت صفة مثل كلمة «ملك»
مثلاً لأصابها التنوين.

دليل سابع أن با فرعا لم تكن له ذرية في التاريخ المصري القديم،
ومعلوم أن فرعون في القرآن كان لا ينجب الذكور، لذلك رضي أن يتبنى
موسى لما أتت به آسيا.

من هذا يتضح أن فرعون هو با فرعا صاحب هرم زاوية العريان
الدمر.

قال ليوبولد فجأة:

- لمن تتحدث يا لعين؟ إن حديثك ليس لنا.

تجاهله بوبي تمامًا وقال وعينه ثابتة لا تطرف:

- في تلك الآونة وُلد الأعور، ومثلما كان جينون هو بداية النسل
الملوث بزواج المحارم في أثلانتيس، كذلك انتقل زواج المحارم
إلى بعض ملوك مصر القديمة، فكانت طائفة منهم -خاصة
الملوك والكهنة- يتزوجون أخواتهم وأمهاتهم وبناتهم، ولا
يخرجون الدم إلى غيرهم.

بعد أن حقن الأعور أثر الرسول في دمائه، أصبحت عينه ترى نوعًا
آخر من الموجودات، الجن والشيطان وحتى الملائكة الصاعدة في
السماء، وتلبست روحه بالغرور والعجب، لكنه كتم ذلك في نفسه وانضم
إلى أفواج بني إسرائيل في أثناء الخروج، كان الأعور يظن أن فرعون
وجنوده سيظهرون من وراء بني إسرائيل ويقبضون عليهم عاجلاً، فقد
أنبأ بنفسه فرعون بمكان الخروج وخط السير، وظل الأعور السامري
يمشي مع بني إسرائيل حتى إذا برز البحر أمامهم وظهر فرعون بنفسه
وجنوده خلفهم، إذ مد موسى عصاه فانشق لها البحر كأنه كائن حي
يتباعد ويفسح بين ثناياه طريقاً للهرب، وسار بنو إسرائيل بين دفتي

البحر يعجبون من قدرة ربهم، وتبعهم فرعون وجنوده، وهنا حدث شيء ربما هو أعجب شيء حدث في تاريخ هذا العالم.

أغلق البحر دفتيه في الجزء الذي يسير فيه فرعون وجنوده، فأغرقهم ولم يغادر منهم أحدًا، وترك الجزء الذي يسير فيه موسى والمؤمنون معه مفتوحًا يسرون فيه، كأن البحر بالفعل كائن حي له إرادة.

وكان الأعور السامري يشاهد كل هذا ورأسه يدور بالأفكار، وبينما هو كذلك إذ انتفض قلبه عجبًا وانبهارًا، فقد رأى الشيء المسؤول عن شق البحر بهذه الطريقة، رأى الملاك جبريل على فرسه يتقدم بني إسرائيل والبحر يخضع لأمره. ورغم ما في هذا المشهد وحده من قوة، فإن العجب في نفس الأعور كان أكبر؛ إذ أصبح متأكدًا أنه يبصر ما لا يُبصر به أحد من بني إسرائيل.

ورأت عينه الأرض تخضر تحت فرس جبريل، فأخّر نفسه ليكون في مؤخرة الجيش وأصبح يجمع هذا التراب المخضر، فقد كان ذاك نوعًا آخر من الأثر، نوعًا ذا تأثير مختلف، تأثير جعل رأس الأعور تختمر فيه فكرة كانت هي البداية التي جعلت لهذا الأعور شأن.

فبعد الخروج العظيم أوعز الأعور لبني إسرائيل أن يصنعوا تمثالًا من الذهب الخالص للعجل أبيس في أثناء غياب موسى، ثم استخدم الأعور أثر فرس جبريل ليهيئ لبني إسرائيل أن هذا العجل أبيس ليس مجرد تمثال بل هو إله قادر على الحركة بالفعل، بل إنه بحيلة صوتية من علوم إدريس تمكّن من محاكاة خوار العجل، فظن الناس ذلك التمثال الذهبي حيًا يكلمهم، وبسبب طول مكوث بني إسرائيل في مصر وتأثرهم بعبادة المصريين العجل أبيس.. انبهرت عيونهم لمّا رأوا العجل الذهبي كأنه حي يتحرك ويتكلم أمامهم فسجدوا له على الفور.

ولما عاد موسى وعلم ما فعله قومه وكيف أغواهم الأعور، أنبأه الله بهوية هذا الأعور السامري، وأنه هو نفسه المسيح الدجال الذي كان

يُحذّر قومه منه ويحذّر كل الأنبياء أقوامهم منه، فقال موسى للأعور أن يذهب فإن له في الحياة ألا يقتله أحد، وإن له موعدًا لن يخلفه، فساح الأعور في الأرض بعدها، حتى حين.

قال لويب:

- ولماذا لم يأخذ الأعور أصول العلوم التي وضعها هامان في الهرم الأكبر؟

قال بوبي وعينه ترجف:

- لم تكن به حاجة إلى أن يأخذها، فلقد نسخها في عقله الفولاني وزاد عليها من علوم أثر الرسول وعلوم أخرى جمعها من بقاع الأرض التي ساح فيها عقودًا طويلة لأنه لا يهرم.

قال ليوبولد:

- هل هو الذي دلّ رجال الروزيكروشن على مكانها فاستخرجوها؟
أوماً بوبي برأسه وقال:

- نعم، فالأعور قرر أن يترك أصول تلك العلوم في موضعها بعد موت هامان ولم يورثها لأحد من بعده إلا إذا صار له أتباع من الإنس يومًا يأتمرون بأمره وأمر الشيطان، وكان أخلص أتباعه هم كبار رجال الروزيكروشن.

وعلى كلمته هذه انطفأت الشمعة فجأة، فخفت قلوب الجميع، وقال ليوبولد بوجل:

- لا توجد نسمة هواء هنا، ما الذي أطفأ الشمعة؟

قال بوبي من وسط الظلام:

- لكل شيء روح؛ الأرض والهرم.. وحتى هذه الشمعة الصغيرة.

قال لويب:

- أشعل الشمعة كما كانت يا لعين أو سأشعل النار في رأسك.

قال بوبي بصوت خفيض:

- الظلمة تستحضر أرواح الموجودات، وكما نجحتما في تجربة الخروج من الجسد فإن الـ «كا» خاصتكما قادرة الآن على قبول الاستماعات.

قال لويب:

- أي استمنا...

قاطعه بوبي:

- لقد كان لذلك الأعور قصة تُعد فارقة في تاريخه، حدثت لما احتاج نبي من أنبياء الله إلى علم من العلوم التي عند الأعور.. وكانت مواجهة شديدة الغرابة بين ذلك النبي والأعور.. ولن نقدر على معرفة القصة إلا بقبول الاستماعات، وستفهمان ما أعني بعد قليل، ولا حاجة إلى رؤية أوراق المجموعة التالية؛ فأنا أحفظها عن ظهر قلب.

الورقة الأولى هي ورقة العدل، وعليها ملك جميل المظهر جالس على عرش حُكمه.

الورقة الثانية هي ورقة الراهب، وعليها صورة راهب يرتدي عباءة، يخفي وجهه ومعه عصا.

الورقة الثالثة هي ورقة العدل أيضاً، ولكن عليها هذه المرة شيطان مريد يجلس على عرش حُكمه.

صعدت أرواح الثلاثة فوق رؤوسهم وأخذ لونها يتوقد.. وبدأت الاستماعات.